ثم دخلت سنة تسع وأربعمائة

ذكر ولاية ابن سهلان العراق

في هذه السنة عرض سلطان الدولة على الرخجي ولاية العراق، فقال: ولاية العراق تحتاج إلى من فيه عسف وخرق، وليس غير ابن سهلان، وأنا أخلفه ههنا، فولاّه سلطان الدولة العراق في المحرم، فسار من عند سلطان الدولة، فلما كان ببعض الطريق ترك ثقله، والكتاب، وأصحابه.

وسار جريدة في خمسمائة فارس مع طراد بن دبيس الأسدي، يطلب مهارش ومضر ابني دبيس، وكان مضر قد قبض قديماً عليه بأمر فخر الملك، فكان يبغضه لذلك، وأراد أن يأخذ جزيرة بني أسد منه ويسلّمها إلى طراد، فلمّا علم مضر ومهارش قصده لهما سارا عن المذار، فتبعهما، والحر شديد، فكاد يهلك هو ومن معه عطشاً.

فكان من لطف الله به أنّ بني أسد اشتغلوا بجمع أموالهم وإبعادها، وبقي الحسن بن دبيس فقاتل قتالاً شديداً، وقتل جماعة من الديلم والأتراك، ثم انهزموا ونهب ابن سهلان أموالهم، وصان حرمهم ونساءهم، فلما نزل في خيمته، قال: الآن ولدتني أمي، وبذل الأمان لمهارش ومضر وأهلهما، وأشرك بينهما وبين طراد في الجزيرة ورحل، وأنكر على سلطان الدولة فعله ذلك، ووصل إلى واسط والفتن بها قائمة، فأصلحها، وقتل جماعة من أهلها، وورد عليه الخبر باشتداد الفتن ببغداد، فسار إليها، فدخلها أواخر شهر ربيع الآخر، فهرب منه العيارون، ونفى جماعة من العباسيين وغيرهم، ونفى أبا عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة، وأنزل الديلم أطراف الكرخ وباب البصرة، ولم يكن قبل ذلك، ففعلوا من الفساد ما لم يشاهد مثله[1].

ج٧/٣٠٠ط فمن ذلك: أن رجلاً من المستورين أغلق بابه عليه خوفاً منهم، فلما كان/ أول

---

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٥٦٦).

يوم من شهر رمضان، خرج لحاجته، فرآهم على حال عظيم من شراب الخمر والفساد، فأراد الرجوع إلى بيته، فأكرهوه على الدخول معهم إلى دار نزلوها، وألزموه بشرب الخمر فامتنع، فصبوها في فيه قهراً، وقالوا له: قم إلى هذه المرأة فافعل بها، فامتنع فالزموه، فدخل معها إلى بيت في الدار، وأعطاها دراهم، وقال: هذا أول يوم في رمضان، والمعصية فيه تتضاعف، وأحب أن تخبريهم أنني قد فعلت، فقالت: لا كرامة ولا عزازة، أنت تصون دينك عن الزنا، وأنا أريد أن أصون أمانتي في هذا الشهر عن الكذب! فصارت هذه الحكاية سائرة في بغداد.

ثم إن أبا محمد بن سهلان أفسد الأتراك والعامة، فانحدر الأتراك إلى واسط، فلقوا بها سلطان الدولة، فشكوا إليه، فسكنهم ووعدهم الأصعاد إلى بغداد وإصلاح الحال، واستحضر سلطان الدولة بن سهلان، فخافه ومضى إلى بني خفاجة، ثم أصعد إلى الموصل فأقام بها مدة، ثم انحدر إلى الأنبار ومنها إلى البطيحة، فأرسل سلطان الدولة إلى البطيحة رسولاً يطلبه من الشرابي، فلم يسلمه، فسيَّر إليها عسكراً، فانهزم الشرابي، وانحدر ابن سهلان إلى البصرة، فاتصل بالملك جلال الدولة، وكان الرخجي قد خرج مع ابن سهلان إلى الموصل، ففارقه بها، وأصلح حاله مع سلطان الدولة وعاد إليه[1].

ذكر غزوة يمين الدولة إلى الهند والأفغانية

في هذه السنة سار يمين الدولة إلى الهند غازياً، واحتشد وجمع، واستعد وأعد أكثر مما تقدم، وسبب هذا الاهتمام: أنه لما فتح قنوج، وهرب صاحبها منه ـ ويُلقب: رآي قنوج، ومعنى رآي هو: لقب الملك كقيصر وكسرى[2].

فلما عاد إلى غزنة، أرسل بيدا اللعين ـ وهو أعظم ملوك الهند مملكة، وأكثرهم جيشاً، وتسمى مملكته: كجوراهة، رسلاً إلى رآي قنوج ـ واسمه: راجيبال ـ يوبخه على انهزامه، وإسلام بلاده للمسلمين، وطال الكلام بينهما.

وآل أمرهما إلى الاختلاف، وتأهب كل واحد منهما لصاحبه، وسار إليه، فالتقوا

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٥٦٦)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٦/ ٢٤٥، ٢٤٦).

(٢) ذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٤٥)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢٢)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٦/ ٥٨).

واقتتلوا، فقتل راجيبال، وأتى القتل على أكثر جنوده، فازداد بيدا بما اتفق له شراً وعتواً، وبُعْدِ صيْتٍ في الهند وعلوا، وقصده بعض ملوك الهند الذي ملك يمين الدولة بلاده، وهزمه وأباد أجناده، وصار في جملته وخدمه والتجأ إليه، فوعده بإعادة ملكه إليه، وحفظ ضالته عليه، واعتذر بهجوم الشتاء وتتابع الأنداء، فنمت هذه الأخبار إلى يمين الدولة فأزعجته، وتجهز للغزو، وقصد بيدا، وأخذ ملكه منه، وسار عن غزنة.

وابتدأ في طريقه بالأفغانية ـ وهم كفار يسكنون الجبال، ويفسدون في الأرض، ويقطعون الطريق بين غزنة وبينه ـ فقصد بلادهم، وسلك مضايقها، وفتح مغالقها، وخرب عامرها، وغنم أموالهم، وأكثر القتل فيهم والأسر، وغنم المسلمون من أموالهم الكثير، ثم استقل على المسير، وبلغ إلى مكان لم يبلغه فيما تقدم من غزواته، وعبر نهر كنك، ولم يعبره قبلها، فلما جازه، رأى قفلاً قد بلغت عدة أحمالهم ألف عدد، فغنمها، وهي من العود، والأمتعة الفائقة، وجدّ به السّير، فأتاه في الطريق خبر ملك من ملوك الهند، يقال له: بروجيبال، قد سار من بين يديه ملتجئاً إلى بيدا ليحتمي به عليه، فطوى المراحل، فلحق بروجيبال ومن معه، رابع عشر شعبان، وبينه وبين الهنود نهر عميق، فعبر إليهم بعض أصحابه وشغلهم بالقتال، ثم عبر هو وباقي العسكر إليهم، فاقتتلوا عامة نهارهم، وانهزم بروجيبال ومن معه، وكثر فيهم القتل والأسر، وأسلموا أموالهم وأهليهم، فغنموا المسلمون، وأخذوا منهم الكثير من الجواهر، وأخذ ما يزيد على مائتي فيل، وسار المسلمون يقتصون آثارهم، وانهزم ملكهم جريحاً/ ، وتحيَّر في أمره، وأرسل إلى يمين الدولة يطلب الأمان فلم يؤمنه، ولم يقنع منه إلا بالإسلام، وقتل من عساكره ما لا يحصى، وسار بروجيبال ليلحق ببيدا، فانفرد به بعض الهنود فقتله. ج٧/٣٠١/ط

فلما رأى ملوك الهند ذلك، تابعوا رسلهم إلى يمين الدولة يبذلون له الطاعة والأتاوة، وسار يمين الدولة بعد الوقعة إلى مدينة باري ـ وهي: من أحصن القلاع والبلاد وأقواها ـ فرآها من سكانها خالية، وعلى عروشها خاوية، فأمر بهدمها وتخريبها وعشر قلاع معها متناهية الحصانة، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً، وسار يطلب بيدا الملك، فلحقه وقد نزل إلى جانب نهر، وأجرى الماء من بين يديه، فصار وحلاً، وترك عن يمينه وشماله طريقاً يبساً يقاتل منه إذا أراد القتال.

وكان عدة من معه ستة وخمسين ألف فارس، ومائة ألف وأربعة وثمانين ألف راجل، وسبعمائة وستة وأربعين فيلاً، فأرسل يمين الدولة طائفة من عسكره للقتال، فأخرج إليهم بيدا مثلهم، ولم يزل كل عسكر يمد أصحابه، حتى كثر الجمعان، واشتد الضرب

والطعان، فأدركهم الليل وحجز بينهم، فلما كان الغد، بكر يمين الدولة إليهم، فرأى الديار منهم بلاقع، وركب كل فرقة منهم طريقاً مخالفاً لطريق الأخرى، ووجد خزائن الأموال والسلاح بحالها، فغنموا الجميع، واقتفى آثار المنهزمين، فلحقوهم في الغياض والآجام، وأكثروا فيهم القتل والأسر، ونجا بيدا فريداً وحيداً، وعاد يمين الدولة إلى غزنة منصوراً[١].

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قبض سلطان الدولة على وزيره ابن فسانجس وإخوته، وولى وزارته ذا السعادتين أبا غالب الحسن بن منصور، ومولده بسيراف سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة[٢].

الوفيات

وفيها توفي الغالب بالله ولي عهد أبيه القادر بالله في شهر رمضان. وتوفي أيضاً أبو أحمد عبد الله بن محمد بن أبي علان، قاضي الأهواز، ومولده سنة إحدى وعشرين وثلثمائة، وله تصانيف حسنة، وكان معتزلياً[٣].

وفي هذه السنة مات عبد الغني بن سعيد بن بشر بن مروان الحافظ المصري، صاحب «المؤتلف والمختلف»، ومولده سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة[٤].

وتوفي رجاء بن عيسى بن محمد أبو العباس الأنصناوي؛ وأنِصنا: من قرى مصر، وهو من الفقهاء المالكية، وسمع الحديث الكثير[٥]/ .

ج٧
٣٠٢/ط

(١) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٤٣)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢٢)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٥٠)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٤٠٩ هـ) (٢٩ ـ ٣٢)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٦/ ٥٨ ـ ٦٠).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ١٣٤).

(٣) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ١٢٩)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٤٣).

(٤) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢٢)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ١٣٠).

(٥) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٤٣)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ١٢٩).

obeikandl.com